

العيد عند الأميري

تجربة العيد عند الأميري : دراسة و موازنة*

الشاعر الإسلامي الراحل عمر بهاء الدين الأميري ، تجربة ناضجة للشعر الإسلامي المعاصر، يجمع في كثير من شعره بين جلاله المضمون، وجودة الشكل. والعيد هذا الزمن المتحفز، الموحى بشتى العواطف، له في شعر الأميري وقفات شاعرية رائعة، تحاول هذه اللفقات أن تستجلي بعضها. في إحدى السنوات المريرة التي مرت على الأميري، حل (العيد) بكل إحياءاته الشاعرة في نفس أب مغترب عن أولاده قسراً، ومأزوم بقضايا أمته وجراحاتها الراحفة، هلّ العيد والشاعر في غربة عن الولد والبلد، فأرسل الأبيات التالية إلى أطفاله، لتتوب عن تبريك العيد(١):

يامزع القلب وراء البحار
في القلب نور من هواكم ونار
ذكرتكم في العيد في غربتي
والعبء مضمّن وهمومي كبار
فأظلم القلب وضج الهوى
في كل ذرّات كياني وثار
ثم ذكرت الله في حبّه اف
تراقنا، وهو لنا خير جار
فهش روعي واطمأن الرّضا
في غور إيماني وقلبي استنار
فالعيد الذي يرسم البسمات على الشفاه، ويجدد أثواب الحياة، ويكون الأطفال فيه رمز جماله وبهجته، يستحيل في قلب الشاعر المبعد عن أطفاله إلى موقد للذكريات المريرة، التي لا تهدأ إلا بذكر من بذكره تطمئن القلوب. وقد وظف الشاعر دلالات النداء والمدود واستخدام ال مع الروي الساكن فكانت تنفيساً طبيعياً يشابه النواح. وكثرت الأفعال في النص. ولاسيما في البيتين الأخيرين، حين حدث التحول من الشعور المثار، إلى الهدوء والطمأنينة، والأفعال من شوافع الليونة والرقّة.
العيد يع(١):

خليلي لا فطر يسرّ ولا أضحي
فما حال من أمسى مشوقاً كما أضحي
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل
أخصّ بممحوض الهوى ذلك السفحا(٢)

ولعل أشهر قصيدة أثرت على شعراء العربية في تجارب العيد المختلفة، دالية المتنبى (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م) التي مطلعها(٣):

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم بأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم
فليت دونك بيدياً دونها بيد

فالعيد قال الملك المعتمد بن عباد (ت: ٤٨٨هـ) حينما أسر بعيداً عن بنيه وبناته، فقال(٤):

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً
أسرك العيد في أغمات مأسوراً(٥)
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً
فردك الدهر منهيأ ومأموراً
ومع ذلك فليس الأولاد هم كل هم شاعرنا الأميري، بل إن العيد يشعل في قلبه همماً(٦):

ما العيد و(القدس) في الأغلال
وفي الخليل ملّات وتشريد
وزارة المسجد الأقصى مزرجة الـ
أصداء بالدم والويلات ترديد
واللاجئون صيام العيد فطرهم
وبشر أطفالهم همّ وتسهيد

حسرة ملفعة بالألم أحارق، يثيرها هذا الاستفهام الممض، الذي يلهب المحاجر في زمن ابتسامتها، وتزيد من ضرام هذه اللوحة الحزينة صورة الأسد الأسير، وزأرتة العزيزة، المزرجة الأصداء بالدم، حيث لا يستجيب لها أحد.. إنها صورة قاسية على مشاعر أهل النجدة العيد بالهمّ والتسهيد، ملمحاً إلى أطفال المسلمين الأمنين في ديارهم، الذين يستقبلون العيد بأحسن لباس، وأطيب طعام، وأرقى هدايا!! إنهما مفارقتان مؤلمتان.

ويمر عليه العيد في السنة التالية ١٣٨٩هـ، فيصرخ في وجوه المهنيين(٧):

يقولون لي (عيد سعيد) وإنه
ليوم حساب لو نحسّ ونشعر
أ (عيد سعيد) يالها من سعادة
وأوطاننا فيها الشقاء يزمر

بهذه السخرية المرة يستقبل الشاعر تهاني أصدقائه بالعيد، ولم لا يسخر، وهو يرى أن من يمتلك الإحساس بالمسؤولية تجاه الأمة، ويشعر بواقعها المرير لا يمكن أن يتذوق طعم السعادة في يوم العيد، لأن عيده الحق يوم تعود لهذه الأمة عزتها، ويمحى عارها يقول(٨):

يمر علينا العيد مرّاً مضرّجاً
بأكبادنا، والقدس في الأسر تصرخ
عسى أن يعود العيد بالله عزة
ونصراً، ويمحى العار عنا وينسخ

وتذكرنا تجارب العيد عند الأميري بتجربة مماثلة عند أستاذه أبي ريشة، في قصيدته (ياعيد) التي مطلعها(٩):

ياعيد ما افتترّ ثغر المجد ياعيد
فكيف تلقاك بالبشر الزغاريد
ياعيد كم في روابي القدس من كبد
لها على الرّفرف العلوي تعبيد
سينجلي ليلنا عن فجر معترك
ونحن في فمه المشبوب تغريد

وأخرى عند الشاعر الفلسطيني محمد صيام في قصيدته (من وحي عيد الأضحى المبارك)(١٠):

(عيد بأية حال عدت ياعيد)
وشعبه حاله همّ وتشريد
يظل بعد فلسطين وروعها
تضم أشلاءه الأغوار والبيد
فالنصر في الدين يحدو ركبنا قدماً
مهماً علا لصياح البوم ترديد
فالعيد عندهما - كما هو عند شاعرنا - يعود بالذكريات المريرة، وذروة الحزن فيه واقع (القدس) الأليم، ولكن التجربة تنتهي بالأمل والتفاؤل.

[تحرير] الهوامش :

- (١) ديوان مع الله: ١٠٢-١٠٣، وديوان أب: ٥٣-٥٤.
- (٢) ديوان ابن زيدون: ٤٧.
- (٣) العقاب: اسم مكان في أنحاء قرطبة.
- (٤) شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي: ١٣٩/٢-١٤٠.
- (٥) ديوان المعتمد بن عباد: ١٦٨-١٦٩.
- (٦) أغمات: ناحية في بلاد المغرب قرب مراكش.
- (٧) ديوان من وحي فلسطين: ٩٦.
- (٨) ديوان أذان القرآن: ١٧٣-١٧٤.
- (٩) ديوان عمر أبوريثة: ٩٣-٩٥.
- (١٠) ديوان دعائم الحق لمحمد الشيخ محمود صيام: ٦٤.

• خالد الحلبي المجلة العربية: العدد ٢٧٣ السنة الرابعة و العشرين شوال
١٤٢٠ هـ فبراير ٢٠٠٠م